

مشكلة التربية الحضارية في المجتمع المسلم المعاصر

-دراسة تحليلية -

The problem of civilized education in contemporary Muslim society- An analytical study-

واكد رابح^{*1}

^{*1}واكد رابح(الجزائر)،ouakedrabe@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/05/03 تاريخ القبول: 2022/..../.. تاريخ النشر: 2022/..../..

الملخص :

تهدف الدراسة إلى التعريف بالتربية الحضارية التي تنمي الحس الحضاري في ذهن الفرد المسلم ومغالبة التخلف الذي يهيمن على الحياة الإسلامية المعاصرة ، وتبرز علاقتها مع الإخفاق الحضاري ودور مخابر الاستعمار العالمي في تعقب مناهج التربية الإسلامية والتدخل في مضامينها لإجبار الناشئة على تقبل نمطية الثقافة الغربية في إدارة الصراع العالمي ، كما بينت الدراسة وقوع التربية الحضارية بين تأثير الداخل والخارج في التغيير ومحاوله كل منهما تصويب رؤيته التغييرية في الواقع المعاصر .

الكلمات المفتاحية

The study aims to introduce the civilizational education that develops the sense of civilization in the mind of the Muslim individual and overcomes the backwardness that dominates contemporary Islamic life. The study also showed the occurrence of civilized education between the influence of the inside and the outside and the attempt of

each of them to correct his changeable vision in contemporary reality

1- مقدمة :

يعيش المجتمع المسلم المعاصر أزمة تخلف مريعة في مجالات الحياة المختلفة بسبب التخلي عن الأخذ بشروط التحضر المناسبة وتمثل أسباب النهوض التي تنطلق من التربية وتقوم على التعلم وتحصيل المعارف المختلفة ذات الصلة بالتنمية والاستثمار في الإنسان الذي ينتج الحضارة ويتفاعل مع معطيات التكنولوجيا المتسارعة في النمو "فالمشكلة هي مشكلة فرد يعيش في مجتمع، لا مشكلة دين، وهي مشكلة عامة في جميع البلاد الإسلامية فلكي تبدأ عجلة التغيير في الدوران لابد من معرفة سنن التغيير لما بالأنفس، وكذلك معرفة ما ينبغي أن يغيره بالإضافة إلى معرفة الأشخاص الذين يجب محاولة تغييرهم باختلاف شخصياتهم وبيئاتهم لأنهم يشتركون في أصل البلاء" (جودت، 1984) ويكون ذلك عبر تربية حضارية طويلة تنمي سلوك التحضر باستمرار لدى الفرد .

والحضارة يجب أن تشمل مقومين أساسيين أولهما: التعليم بشرط أن يكون مبنياً على أساس الحاجات، وليس المفروض في قوالب غير قابلة للتطبيق وتؤدي إلى تعجيز الذات والعقل بدل من استنهاضهما، والقضية الثانية مرتبطة بالتشريعات الأخلاقية اللازمة لاستمرار الذات الإنسانية واحترامها (نبي، 1990) فالتعليم يمكن من تحصيل الخبرة الحضارية في الإنتاج الصناعي والفلاحي والتكنولوجي ويربط المؤسسة التعليمية بسوق الشغل وينفتح على احتياجات التنمية المختلفة ، وينجز التشريع الأخلاقي ثقافة العناية بالإنسان وتهيئة المناخ للتفكير والإبداع والفعالية .

" والفعالية على المستوى الاجتماعي تعني القدرة على توليد ديناميكا اجتماعية وذلك بالدخول في تخطيط منهجي لا يحتوي خليطاً من الأفكار المتناقضة حتى أن التقدم أو التأخر

الحضاري يمكن أن يلاحظه الإنسان من خلال ملاحظة عامل الفعالية أي أنه بوسعنا " أن ندرس حضارة ما، بملاحظة الطريقة التي يتبعها الإنسان ليتفاعل مع بيئته، ليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها، وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، فصناعة حضارة بقدر ما تحتاج إلى أفكار سليمة، فإنها تحتاج إلى فعالية في إنجازها (نبي، مشكلة الثقافة ، 1420 هـ -2000م).

2- الإشكالية:

بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية - 1924- التي أحدثت هزة سياسية وفكرية كبيرة في حواضر العالم الاسلامي ("شوك، 1431 هـ -2010). ازداد عمق التخلف الذي أحاط بالمجتمع المسلم واتسعت الهوة بينه وبين متطلبات الحضرة ، وانتقل بذلك الفرد إلى التعاطي مع الواقع الجديد الذي يتحكم فيه الاستعمار بعيداً عن إرادته ويلزمه بتنفيذ المخطط الواسع في تحويل الهوية ، وإثبات التبعية الدائمة له على امتداد الرقعة الإسلامية " من إيران الغربية في أندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي غرباً ومن جبال الأورال وسيبيريا شمالاً إلى موزنبيق جنوباً ("القوسي، لسنة 23 ، العدد 226 1429 - 2008 ،).

وبرغم القابلية النفسية للاستعمار والتغلغل العميق له ونفاذ التربية الإستعمارية تحركت الذات المسلمة وصارعت الكائن المحتل بكل الوسائل - التربية الفكرية ، السياسية ، العسكرية ، حتى أخرجه من الأرض خلال القرن الماضي ، وقد أدرك الإستعمار أن ثمار سياساته التربوية والثقافية يمكن جنيها بعد الإستقلال (حسان، 2007). حتى الربع الأول من هذا القرن "كان دورها في ذلك دوراً بطولياً فقط ومن طبيعة هذا الدور إنه لا يلتفت إلى حلّ المشاكل التي مهّدت للاستعمار وتغلغله داخل البلاد" (نبي، 1990) وحصل بذلك الاستقلال واستعاد الشعب حريته المسلوقة وشرع المجتمع في البناء الجديد كمطلب حضاري يدفع الإنسان المسلم على طول الرقعة الجغرافية الإسلامية - طنجة جاكرتا - بعد تحقيق الاستقلال إلى تحقيق التنمية الحضارية المطلوبة التي ارتبط بها شعوره في التاريخ الإسلامي إذ هو الآن يمثل موقع مابعد

الحضارة ، بعد أن كان سلفه يجسد موقع الحضارة إلى جانب الموقع الآخر الممتد من أمريكا إلى أوروبا الذي يمارس الدور الحضاري غير المنسجم مع الدور الحضاري في نظر المسلم ، هذا " عدا المؤشرات المتعددة التي تشير إلى أن المواجهة التي قامت بين الاشتراكية والرأسمالية قد تحولت إلى شكل آخر من أشكال الصراع ، بحيث يكون صراعاً بين النموذج الحضاري الغربي والنموذج الإسلامي " (علي، 1425هـ).

ومشكل البناء التربوي الجديد ذو المطالبية الحضارية ، هو بالذات مشكل حضاري بالنسبة للمجتمع المسلم ، ولا يمكن " للشعب أن يفهم ويحل مشكلته مالم يرتفع إلى الأحداث الإنسانية ومالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها " (ني، 1990) انطلاقاً من التربية الإسلامية الأصيلة بدل التربية الاستعمارية الموروثة.

فاستيعاب الأحداث الإنسانية خصوصاً المعاصرة يكشف عن الآليات الصحيحة في العملية الحضارية التي تتماشى ومنطق العصر منجهة ، ونموذج التفاعل مع قضاياها وفلسفتها من جهة أخرى وإدراك العوامل يؤسس لطريق النهضة الصحيحة القائمة على التربية الإسلامية الصحيحة "وإذا كانت الحلول السياسية لقضايا المجتمع تأتي من بوابات الثورات الخاطفة في التاريخ من أجل التغيير الاجتماعي ، فإن الحلول التربوية بمثابة الثورة الصامتة التي تتغلغل في صلب الوجود الاجتماعي وتأخذ مجراها في أعماق الوعي ، لتتحول إلى قوة تاريخية تمكّن المجتمع من الانطلاق نحو غاياته الحضارية السامية " (وظفة، سبتمبر - ايلول 2001 م - جمادى ثاني 1422 هـ) بيد أن البناء الجديد (لاسيما المتعلق بعملية التربية) ارتبط من جديد بمنظومات فكرية استعمارية جاهزة كالإشتراكية الروسية التي مثلت يومئذ استراتيجيّة تنمية لا بديل عنها ، وإيديولوجية وحيدة في تجاوز رواسب الماضي وتحقيق عناصر التنمية في نظر العصب الحاكمة وقتئذ ، واستبعد وهمش الرأي الذي يرى "أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إنما يكون في الظروف والشروط نفسها التي ولدت فيها الحضارة الأولى - والتي تقوم

على تربية الفرد أولاً - كان هذا صادراً عن عقيدة قوية ولسان يستمد من سحر القرآن الكريم تأثيره ليذكر الناس بحضارة الإسلام في عصوره الزاهية (نبي، 1990).

ما هي التربية الحضارية؟ وما علاقتها بالإخفاق الحضاري في مجتمعنا ودور مخابر الاستعمار العالمي في ترسيخ ذلك؟ وكيف يؤثر الداخل والخارج على صيرورتها؟ وكيفية تحسيدها في المجتمع المسلم المعاصر؟

3- أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي :

- التعرف على نموذج التحضر الإسلامي الأول الذي نتج بسبب مخرجات التربية الإسلامية التي بذلتها طبقة الحضارة الإسلامية الأولى من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كحالة تأسيسية وتكوينية للنموذج، تليها الطبقات الأخرى (التابعون ، وتابعيهم بإحسان) في مرحلة الانتشار والتوسع .

- إثبات أن سلوك التحضر تربية بالدرجة الأولى لا يتأتى بتعليمات قانونية أو باستيراد نماذج تحضرية جاهزة من المجتمعات المتقدمة ، بل ينأسس بإرادة داخلية عميقة تبدأ بالتربية الإسلامية وتمتد إلى الميادين الحضارية الأخرى (الصناعية والفلاحية والتكنولوجية ..)

- إعادة تأسيس نموذج التحضر في المجتمع المسلم المعاصر لا يكون إلا في الشروط نفسها التي انطلق منها نموذج التحضر الأول بعيداً عن النماذج التحضرية المستوردة من قبل الأنظمة السياسية المختلفة (الاشتراكية ، الرأسمالية ، الليبرالية ..) .

- إيضاح أن مشكلات الاستبداد والفساد والأحادية في تسيير شأن المجتمع المسلم المعاصر لا يمكن حلها إلا بتربية إسلامية عميقة وطويلة تتولاها مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية المعاصرة.

4- أهمية الدراسة :

- تبرز أهمية الدراسة من خلال مايلي :

-دراسة دور التربية في تحضر المجتمع ومدافعة التخلف الذي يعيشه المجتمع المعاصر على مراحل وخطوات متدرجة لاتستجيب للعشوائية والتلقائية أو تتجاوز السنن في التغيير الاجتماعي المطلوب .

- إبراز دور التربية الإسلامية في تحقيق الإنجاز الحضاري المتمثل في الحضارة الإسلامية السابقة التي أسست على قواعدها ، فشروط التحضر المعاصرة ينبغي أن تنطلق من الشروط ذاتها التي انطلق منها التحضر الإسلامي الأول .

-إثرا البحوث التربوية التي تتناول بحث علاقة التربية الإسلامية بالتحضر ،وتثير الاهتمام المعرفي إلى ضرورة توفر الخلفية التربوية في تكوين الحضارة الإسلامية الجديدة البديلة .

-إغناء الجانب النظري والفلسفي في مرحلة أولى ، ثم فحص الخصائص الحضارية عمليا من خلال بناء استبياناتومقاييس واختبارات تختبر استعداد التحضر لدى الفرد المسلم المعاصر .

5- مفاهيم الدراسة :

مفهوم التربية الحضارية :

لغة : التربية :تقول العرب " لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن ، قال الأنباري : الرب ينقسم على ثلاثة أقسام : يكون الرب المالك ، ويكون الرب السيد المطاع ، قال تعالى ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا ﴾ (يوسف : 41) وفي حديث ابن عباس مع ابن الزبير -رضي الله عنهم -لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم : أي يكونون أمراء وسادة ومتقدمين ، يعني بني أمية ، ورباه تربية على تحويل التضعيف ، وترباه على تحويل التضعيف أيضاً، وترباه على تحويل التضعيف أيضاً ، أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه أو لم يكن " (منظور، 1996).

الحضارة لغة : يقال " حضر القاضي امرأة تحضر ، قال : وإنما أندرت التاء لوقوع القاضي بين الفعل والمرأة قال الأزهري واللغة الجيدة حضرت تحضر ، وكلهم يقول تحضر ، بالضم ، والحاضر خلاف البادي ، وفي الحديث : لا يبيع حاضر لباد ، الحاضر : المقيم في المدن والقرى ،

والبادي المقيم بالبادية ، ويقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية ، والحاضرة : الإقامة في الحضر (منظور، 1996) .

اصطلاحاً :

الحضارة : يرى ابن خلدون " أن الحضارة تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ، فلكل واحد منها صنائع في استجداته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً وتتكرر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك ، واهل الدول ابداء يقلدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم " (خلدون، 2000).

التربية الحضارية :

نعني بالتربية الحضارية جملة الجهود الفكرية والعملية التي تبذل في ميدان بناء الإنسان لتوفير الشروط الزمنية والنفسية للبناء الحضاري ، من خلال إعداد الفرد المسلم وتجهيزه لهذه الحالة، ففعل النهضة هو " ما يبذل من جهد في الميدان النفسي " متجاوزاً معوقات هذه النهضة ، ومتوافقاً مع مقوماته المعرفية (الأصيلة) ومرجعياته الحضارية مراعيًا السنن الكونية في التغيير والتطور ، وهذا لن يتأتى إلا " بتكوين الفرد الحامل لرسالته في التاريخ " فالتربية الحضارية هي ذلك المكون الذي يجمع بين المرجعية الذاتية (الأصالة) وبين الانفتاح (المعاصرة) على التطورات الحديثة التي أنتجها العقل في حضارات أخرى ، فلا مجال لتربية حضارية تنغلق عن واقعها المعيش ، ولا معنى لتربية حضارية تنسلخ من ذاتيتها ومرجعيتها الأساسية الأصيلة (حسان ح.، 2016) .

مصطلح التربية الحضارية في الإسلام يقترب كثيراً من مصطلح التربية الإسلامية ، لأن التربية الحضارية في الإسلام هي جزء من التربية الإسلامية ، تمثل جميع جوانب الحياة للفرد المسلم ، وللمجتمع المسلم ولالأمة المسلمة ، ولا شك أن بينهما عمومًا وخصوصاً سواء في الأسس أو

الخصائص أو الأهداف ، يعرفها مقدار الجبن بأنها "تنمية الجيل وإعدادهم ، وتنمية قدراتهم ، واستعدادهم وتشكيلهم حضارياً ، وفقاً لمفهوم الحضارة الإسلامية ، أو هي إعداد المسلم إعداداً حضارياً في ضوء التفكير الحضاري في الإسلام " ويعرفها في موضع آخر بأنها " بناء الأجيال المسلمة القادرة على تحقيق التفوق في مجالات الحياة المادية والمعنوية في ضوء الإسلام "(الأهلل، 1428هـ-2007).

فالتربية الحضارية تربي الأجيال على التفكير في التحضر والتقدم ومنافسة المجتمعات المتطورة في الشرق أو الغرب والمشاركة في جهود التحضر المختلفة (النفسية والفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية) عبر المؤسسات المختلفة (الأسرة ، المسجد والمدرسة والإعلام والمراكز الثقافية ومؤسسات المجتمع المدني) فالفرد يتلقى التحضر صغيراً وينشأ عليه حتى يصبح يمارس التحضر في شؤونه المختلفة ، ويحمل من ثم هم التفكير في تحضر مجتمعه ويستوعب كفاءات تجاوز التخلف بأشكاله المختلفة .

6- علاقة التربية بالإخفاق الحضاري ودور مخابر الاستعمار العالمي :

ترتبط التربية بالحضارة ارتباطاً عميقاً ولا يمكن فهم مخرجات التربية إلا بإدراك علاقتها بالحضارة "فأهدافنا السياسية الكبرى في العالم العربي لم تتحقق ولم يقترب منها ، بل زدنا عنها بعداً وأمل الوحدة ضُغف نتيجة للخلاف العقائدي بين المحافظين من دعاة اليمين والثوريين من دعاة اليسار وقضية فلسطين لم تحل ولم تقترب من الحل ، وفشلت الثورة اليسارية العربية في سنة 1967 كما فشلت من قبلها الليبرالية اليمينية العربية في سنة 1948، وقضية الحرية السياسية في العالم العربي في أزمة آخذة بالخنق سواء في البلاد التي تتخذ شكل النظام الديمقراطي الدستوري ، والبلاد التي تتخذ النظام الاشتراكي الثوري إلى جانب الرخاء الاقتصادي الذي لم يتم على النحو الذي كان مرجوً منها والأمراض الأخلاقية الأخرى (القرضاوي، 1391هـ-1971) ومسارات التنمية في الوطن الإسلامي " التي أصبحت مشكلة مصير حياتية تستنفد قدراً كبيراً من اهتمامها ، وفي سعيها لعبور الهوية القائمة ما بين واقع التخلف الذي ورثته من

عهود التبعية والاستعمار وبين الصورة الأفضل التي تتطلع لأن تكون عليها الحياة في مجتمعاتها (قشقوش، العدد 34، السنة 1999).

هذه الأوضاع لم تغب عن مخابر الاستعمار العالمي الذي تحوّلت قيادته من المراكز الأوربية إلى المراكز الأمريكية مثل " مؤسسة التراث Heritage Foundation، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية Centrel for Strategicand International، ومعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى Washington Instute for NearEast Policy وغيرها (خفاجي، بيروت ، العدد 369 ، تشرين الثاني - نوفمبر 2009). الذي بدأ يراقب الأوضاع التربوية في العالم العربي ، ويفحص المقررات والبرامج المدرسية المختلفة ، وتلك الصلات والروابط التي يمكن أن يجدها مع الإرهاب الدولي المنتشر في العالم .

وبتزايد حدة العنف في العالم وخصوصاً أحداث تحطيم البرجين الشهيرين في أمريكا 11 سبتمبر 2001 تغيّرت خريطة العلاقات وتم تشويه الثقافة العربية بعامة والتربية العربية المعاصرة على وجه التحديد ، مستغلّين كون أغلبية الذين شاركوا في أحداث أيلول - سبتمبر من مواطني المملكة العربية وأتّهم متعلمون في النظام التعليمي السعودي ولذا يجب إعادة توجيه التربية القائمة وفق مواصفات أمريكية (رضا، 2006) " وفي الثاني من شباط - فبراير 2002 نشرت جريدة واشنطن بوست دراسة تشير إلى أن السعودية هي موطن 15 من ال 19 من خاطفي الطائرات في أحداث 11 أيلول وعدت التربية السعودية مسؤولة عن سلوكهم العدواني في تلك الأحداث ، ووفقاً لما ذكرته الدراسة فإن قادة المملكة أمروا بمراجعة جميع الكتب المدرسية بحثاً عن دليل على التطرف ، وقد ظهر أن 5 بالمئة من مفردات الكتب المدرسية يجب إلغاؤه ، ولكن أي عملية تغيير جذرية لم تقع في الكتب المدرسية السعودية وانتهت الدراسة إلى تحميل الكتب المدرسية السعودية وبخاصة كتب التربية الدينية جزءاً من أحداث أيلول (رضا، 2006).

7- التربية الحضارية بين الداخل والخارج :

شرح العقل الأمريكي الإستشراقي في صناعة فكرة الصدام بين الحضارات (صمويل هنجنتن "صدام الحضارات"، وفرانسيس فوكويوما "نهاية التاريخ") (المخزنجي، 1428-2007) "الأولى تتموضع في سكة التفكير الليبرالي والسلامي الذي يمثل الفكر الكانطي - نسبة إلى كانط- بوصلته العامة ، والثانية تتموضع في سكة التفكير الصدامي الهوبزي - نسبة إلى توماس هوبز فيلسوف علم السياسة الإنجليزية في القرن السابع عشر (الحروب، تشرين الثاني - نوفمبر ، 2008) وتقدم دراسات مشوهة عن تعاليم الإسلام كخدمة إستعمارية جديدة للسلطة الأمريكية، "ففرانكلين جراهام مثلاً رئيس أكبر الكنائس الإنجيلية ومستشار الرئيس بوش الشخصي يصف الإسلام بأنه دين شيطاني شرير ومنحط ويدعو للعنف" (القوسي، لسنة 23 ، العدد 1429 226 - 2008 ،). ويقول بول جونسون BollJonson المؤرخ البريطاني الشهير " الإسلام عقيدة عنف وأن أهله لا يتقبلون أي نوع من الحوار الإيجابي البناء وأن القرآن هو الذي يمدّ المسلمين بالرغبة في قتل الأبرياء" (القوسي، لسنة 23 ، العدد 1429 226 - 2008 ،) مما يجعلهم يستمرون في تكوين العلاقة الاستعمارية مع الشرق بدل العلاقة الحضارية التبادلية ، ويحرصوا على تغيير المناهج الدراسية في المنطقة الإسلامية لتستجيب لذات الأهداف الاستراتيجية التي خطّها العقل الأمريكي من قبل ويرسخوا " تقليد المناهج الغربية بدل اعتماد استراتيجية مدروسة تعقد المقررات الدراسية التي جعلت من التلميذ متلقي لكم هائل من المعلومات دون الإستفادة منها بشكل منهجي يعتمد على المناقشة والابداع (،، 26 - 10 - 2007).

وظهرت أدبيات جديدة تسوغ التدخل الخارجي في كل مجالات الحياة في المنطقة الإسلامية كنمط إصلاحية ضروري ، ينمط الحياة الفردية والجماعية معاً " الأمر الذي يعني أنّ الكلام على الإصلاح السياسي في العالم العربي في السنوات الأخيرة جاء بضغط خارجي لا برغبة داخلية ، ذلك أن الأنظمة العربية جميعاً ومن دون تمييز تتصف بالخوف من التغيير " (،، العدد 367 -أيلول ، سبتمبر 2009).

حينئذ يشعر الإنسان في الوطن الإسلامي أن وجوده كلية مرهون بالنفوذ الأمريكي ، وحدث الانقسام بشأن العلاقة مع الإصلاح الديمقراطي الذي تبشر به أمريكا في المجتمع المسلم ، فقطاع غير واسع (المعارضة في الخارج الموالية للأنظمة في الغرب وكذا المعارضة الداخلية المرتكزة) يرى بأن التدخل الأمريكي ضروري لإصلاح وإحياء الديمقراطية في الجغرافيا السياسية العربية " سيما مع تدفق المعونات الأجنبية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي لنشر الحرية ، ومكافحة الدول التي تتجه نحو الديمقراطية ، باعتبار أن غياب الديمقراطية يؤلّد العنف والإرهاب " (الخوري، العدد 367 ، أيلول – سبتمبر ، 2009).

وقطاع آخر يصرّ على فهم التدخل على أنه سلوك إستعماري جديد للوطن الإسلامي غلّف بغطاء الإصلاح والديمقراطية – النموذج العراقي – " ما يؤكد أهمية الحكم على توجّه واشنطن بشأن الديمقراطية في المنطقة من خلال الممارسة العملية وليس من خلال الخطاب السياسي والإعلامي الذي قد يكون مجرد جزء من حملة علاقات عامة غايتها تحسين الصورة والبحث عن مخارج للتعامل مع المأزق الأمريكي في العراق " (ابراهيم، (العدد 349 آذار – مارس 2008)) وحدث هذا الانقسام في الرؤية تعرّض المشروع الحضاري للنقد كذلك كحملة تشكيكية يعدها المخبر الأمريكي ويقذفها إلى جنبات المجتمع للتنفيذ والتبني في المنطقة الإسلامية على حساب الاختيار النابع من المرجعية الحضارية " وبدأ المعيار التاريخي والتقييم الحضاري يتوحد مع وعي الثقافة السائدة وقبلت نظم الإستقلال الوطني وحركاته في تلك الفترة وبغير تحفظ كبير أن يتحول وعينا من موقف المواجهة في التعامل مع مستعمرينا السابقين إلى موقف التتالي والتعاقب معهم وساد منظور للعالم بحسبان أن مجتمعاته جميعًا تقف على سلم صعود واحد ، وأنها لا تختلف إلا في درجة الإرتقاء على هذا السلم (علي، الخطاب التربوي الاسلامي ، ربيع الأول 1425 هـ) وأصبح المطمع الأول للطبقة السياسية القائدة في المنطقة العربية الإسلامية إرضاء الغالب عالميًا والدوران إيجابيًا مع تعليماته الدولية سيما – الثقافية والاقتصادية والتربوية – لتأمين مغبة الملاحقة العسكرية والأمنية وتنسجم مع مقررات

الواقع الدولي ، لئلا تصبح نشازًا في المعتقد السياسي الدولي وتفلت من التكيف المطلوب مثلما حدث مع النظام الليبي " الذي كافأته واشنطن ، ليس لأنه أصبح ديمقراطيًا ولكن لأنه أصبح نموذجًا للإمتثال والتكيف مع المصالح الأمريكية "(31)، العدد 100 ، ربيع الاول 1425هـ).

وهذا المطمح القيادي في المجتمع العربي الإسلامي غير المطمح عند الشعوب التي بالرغم من تأثرها الشديد بهذه التقلبات القيمة والسياسية ، لا تزال غير قانعة بالنموذج الحضاري الأمريكي ، كونه صورة من صور التدافع الحضاري مايبلت وأن تنتهي دورته التاريخية ، وينشأ نموذج حضاري جديد يمكن أن يكون النموذج الحضاري الإسلامي مثلما تبشّر به النبوءة النبوية.

" روى مسلم وغيره عن ثوبان وشداد بن أوس رضي الله عنهما مرفوعًا: "إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا رَوَى لِي مِنْهَا "وروى ابن حبان في صحيحه " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذِلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعْزِلُ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ " (ابن حبان في صحيحه : 1631-1632)"(البستي، 1408هـ- 1988) (وفي صحيح مسلم " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا "رواه مسلم : 8 - 171 وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد ((النيسابوري، 1412هـ- 1991).

وتؤكد علميًا الدراسات الإستشراقية ، يقول محمد أسد " إن الغربيين لا يرون في تعاليم الإسلام إنكارًا للكثير من معتقداتهم الدينية فحسب ، ولكنهم ينظرون إليه على أنه خطر سياسي أيضًا .. ولكي يدرأ الغربيون هذا الخطر المحتمل فإنهم ييذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون بعث القوة السياسية للمسلمين ومنع الإسلام من احتلال المكانة التي كان يحتلها في السابق في حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية " ((القوسي، لسنة 23 ، العدد 226

1429 – 2008 ،)ولذا يجد المطمح الشعبي نفسه بحاجة إلى الحفاظ على ذاتيته الحضارية

مثلما يحافظ عليها إنسان النموذج الغالب ، المستند هو الآخر إلى تربية عميقة نشأ عليها .

غير أن المطمح الشعبي تتخلله نزعات متباينة واستعدادات متناثرة في مجتمع فقد توازنه القديم ويبحث عن توازن جديد ((ني، 1990)) خاصة في وعي الطبقة الشبابية ، " هناك نظرة ذلك الشاب الذي يتغذى بثقافة ضيقة خانقة بضيقها ، فهو يرى أن سعادة البشر قد بدأت مع القرن التاسع عشر بانتشار ما يسمى الأفكار التحررية ، وهناك من يشك ويرى المدنية معركة اقتصادية ، وإن تخليص الشعب لن يتأتى إلا بحيلة اقتصادية يحتالها المحتكرون أو بكارثة مالية في السوق السوداء ، وهناك من ينظر النظرة المملوءة بالحقد المطلية بالرياء ، فيرى المدنية في الأعراس الانتخابية والمظاهرات العمومية ، وهناك نظرة الشاب السلفي المملوءة بذكريات الماضي ، فهو يظن أنه يغيّر نظام المجتمع بتطهير لغته وتطبيق النحو والصرف ، وثمة المقتنع بحاله الذي لا يرى شيئاً ولا يفهم شيئاً ولا يبحث عن شيء ، فهو قانع بدفع ضريته من غير أن يتساءل عن موجبها الاجتماعي" ((ني، 1990) هذا التباين في الرؤيا يثبت إشكالية التربية الحضارية في المجتمع المسلم ، بمعنى أن إدراكات الأفراد لماهية السلوك المناسب في الحياة الاجتماعية لاتزال غير واضحة ، ويعتريها كثير من الغموض وينتج بذلك ممارسات غير حضارية -كالعنف التعصب ، الصدام ، التسلط ، التبعية والتقليد- لاتنسجم ومضامين المشروع الحضاري ، المنطلق من ضوابط ومدخلات التربية الاسلامية ، ويبرز الإشكال خصوصاً عند الفئة الشبابية من المجتمع .

فالشباب عمدة التحول الحضاري يبادر في مرحلة أولى إلى تلقي الفكرة الحضارية واستيعابها في المحاضن التربوية (الأسرة ، المسجد ، المدرسة ، الجمعيات ..) وفي مرحلة ثانية يسعى لبثها في المجتمع وجعلها محور اهتمام اجتماعي يعمل له الأفراد جميعاً ويتلقف المثيرات المختلفة التي تتفاعل مع فكرتهم من التيارات والاختيارات الإيديولوجية- المنافسة أو المشاركة -

وتأسس استجابات فكرية وسلوكية لتلك العلاقات التفاعلية مع الأطراف الأخرى طالما هي طموح سياسي واجتماعي يتلاقى ويتقاطع مع الطموحات الأخرى.

ويتأثر التفاعل تبعاً للحوادث التاريخية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع الإسلامي المعاصر ، فحدوث الاحتلال الأمريكي للعراق والمأساة الوطنية في الجزائر ، ومشكلة الانقسام الطائفي بالسودان والعلاقة الاستعمارية بين المغرب والصحراء الغربية ، والصراع الحدودي بين الخليج وإيران وغيرهما ، فهذه الحوادث تمثل إخفاقات في ذهن الشباب المسلم تجعله يهرب داخلياً من التفكير في الشأن الحضاري لأُمته ، وينزل إلى الشأن المادي الاجتماعي لذاته .

8- خاتمة :

حدث التحضر في مجتمعاتنا أول مرة مع بزوغ فجر الإسلام وتكوين المجتمع المسلم من قبل النبي المربي صلى الله عليه وسلم الذي بذل جهداً تربوياً كبيراً في مكة دام ثلاثة عشر عاماً ، عمل فيها باستمرار على ترسيخ العقيدة الجديدة في قلوب أصحابه عليهم الرضوان ، وإخراج الجاهلية الموروثة عن الآباء والأسلاف لمواجهة الدين ، واستمر العمل التربوي في المدينة المنورة حتى تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من إخراج الإنسان المتحضر الذي عمل على إنشاء الدولة المسلمة والحضارة الإسلامية بميزاتها وملامحها وخصائصها المتميزة عن باقي الحضارات المعاصرة لها وقتئذ .

واستمرت حركة التحضر بين تقدم وتأخر وقوة وضعف حسب قوة الدولة وامتدادها وتأثيرها إلى غاية سقوط الخلافة الإسلامية وتفكك الدول العربية والإسلامية وتمكن الاستعمار الغربي من غزوها والاستيلاء عليها وتكريس التخلف الحضاري في كل شؤونها وردها إلى دول تابعة فاقدة السيادة الحضارية ، مما جعل المصلحون والعلماء والمقاومون يبشرون بضرورة دفع الغازي ورد مظالمه وغيه ويقومون بكفاح مرير لإجباره على الخروج من الديار واستعادة حرية الوطن وكرامة المواطنين ، وبعودة الاستقلال وإبطال الاحتلال ، بقي سؤال الاستقلال التام قائماً وكيفيات تجاوز التخلف وإنتاج التحضر ..

وبديهي أن معاودة التحضر ينطلق من التربية التي تنطلق من الأسرة والمسجد والمدرسة وكافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، إذ التحضر اختيار أخلاقي واجتماعي وثقافي ينشأ عليه الفرد وينمو عليه ، ويكتسب أفكاره وسلوكه واتجاهاته ، ليعيد إنتاجه في المدرسة والمعمل وفي علاقاته الفردية والاجتماعية والسياسية ، فيهتم لتفوق مجتمعه في مجالات العلوم والمعارف وتطوير فكر المنافسة مع القوى العالمية التي تهيمن بإنتاجها وثقافتها على العالم وتكره القوى الضعيفة على اختيار توجهاتها وتتحكم في قراراتها المختلفة ، وتمنعها من تحقيق التحضر المطلوب وإنجاز الكفاية الحضارية في مجالات حياتها المختلفة ، مما يجعل الرهان على التربية الحضارية كبير ويحتاج إلى جهود منظمة للوصول بالتربية إلى الفعل الحضاري المطلوب .

9- المراجع: قائمة المراجع فيها خلل لم استطع التحكم فيها وتعديلها

- (، ف. د. - ف.) . العدد - 367 أيلول ، سبتمبر . (2009 قراءة في كتاب وراء الواجهة :
- الاصلاح السياسي في العالم العربي .المستقبل العربي. 255 ،
- ، " . ل . (2007 - 10 - 26) . المختصون يكشفون العولمة تهدد المدرسة الجزائرية وتعقد
- التعليم .جريدة الشروق .
- 13م. (s.d.) .-2 .
- (. ، 31ت-م .) . العدد 100 ، ربيع الاول 1425 هـ . (العوامل الخارجية وتأثيراتها في
- التطور الديمقراطي في الوطن العربي .كتاب الامة . 25 ،
- ابراهيم ح . ت .) . العدد 349 آذار -مارس . (2008العوامل الخارجية وتأثيراتها في
- التطور الديمقراطي في الوطن العربي .المستقبل العربي. 26 ،
- الأهدل ، هـ . ب. 1428) . هـ . (2007-أصول التربية الحضارية في الإسلام.الرياض -
- السعودية : جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية.

البستي ، ا. (1408 هـ). (1988) -الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. بيروت -لبنان
:مؤسسة الرسالة .

الحروب ، خ). تشرين الثاني -نوفمبر ، (2008 في الفكر السياسي الأمريكي الجديد "
عودة التاريخ " و "رابطة الديمقراطيات . "المستقبل العربي . 23 ،
الخوري ك). العدد 367، أيلول -سبتمبر ، (2009 قراءة في كتاب أمريكا في عالم
يتغير لعاطف الغمري ، ضمن كتب وقراءات .المستقبل العربي. 154 ،
القرضاوي ، ي (1391). هـ. (1971-الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا. مصر :
مؤسسة الرسالة .

القوسي ، م. ب). لسنة 23، العدد 2008 - 1429 226، (العلاقة الفكرية الثقافية
بين العالمين الاسلامي والغربي في العصر الحاضر الحواجز والسدود .دعوة الحق ، ص
13 .

المخزنجي ، ا. (2007- 1428). الحضارة الاسلامية وسطيتها وموقفها من الآخر .دعوة
الحق. 128 ،

النيسابوري ، ا. (1412). هـ. (1991 -صحيح مسلم .بيروت -لبنان :دار الكتب العلمية.
جودت .(1984).) ، حتى يغيروا ما بأنفسهم. دمشق : مطبعة زيد بن ثابت الانصاري .
حسان ، ح . ع . (2016). التربية الحضارية عند مالك بن نبي وتطبيقاتها التربوية .المسلم
المعاصر . 23 ،

حسان ، ص . (2007). النظام التربوي الاستعماري في الجزائر. الجزائر : دار الامة .
خفاجي ، ب) .بيروت ، العدد 369، تشرين الثاني -نوفمبر . (2009 أثر المراكز الفكرية
في السياسة الخارجية الأمريكية .المستقبل العربي . 40 ،
خلدون .) ، ا. (2000). مقدمة ابن خلدون. بيروت :دار ومكتبة الهلال.

رضا م. ج. (2006) .*الإصلاح التربوي العربي* . بيروت - لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية.

شوك ، ا. (1431 هـ .) (2010-الدولة الدينية الاسلامية في النظرية والتطبيق .المجلد 14 , 213.

علي ، س . (1425 هـ .) *(الخطاب التربوي الاسلامي* . قطر : مطبعة الأوقاف .

علي ، س . ا. . ربيع الأول 1425 هـ .) *(الخطاب التربوي الاسلامي* . كتاب الامة . 45 ,

قشقوش ، ا. ز .) . العدد 34 ، السنة . (1999 وجهة نظر حول سيكولوجية الانتاج التنموية في مجتمعات الخليج العربية .مجلة التربية -قطر -جامعة قطر. 123 ، -

منظور ، أ. ا. (1996) . *لسان العرب* . بيروت : دار صادر .

نبي ، م . ب. (1420 هـ .) 2000-م .) *(مشكلة الثقافة* . دمشق - سوريا : دار الفكر .

نبي ، م . ب. (1990) . *شروط النهضة* . دمشق : دار الفكر .

وظفة ، ع . أ .) . سبتمبر -ايلول 2001 م -جمادى ثاني 1422 هـ .) *(التربية العربية بين*

حادثتين : بحث في إشكالية الحداثة التربوية ، شؤون عربية. 174 ,